شِعْرُ
رياض حمزة شير علي
دراسة في الشكل والمضمون

أ. م. د حسين عبد العال اللهيبي
مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة

المقدمة :

النجف الأشرف مدينة عربية إسلامية لها أه مية كبيرة في التاريخ والحضارة ، وقد اشتهرت بكثرة مساجدها ومدارسها الدينية ، وقد ظلّت منذ أن رحل إليها الشيخ الطوسي في سنة ٤٤٨هـ مهوى أفئدة النازحين إليها ، تلقي على العالم بإشعاعها الفكري والحضاري ، وترفدُهُ بكلِّ ما هو نافع ومفيد .

عرفت النجف بأنها بيئة أدبية احتضنت كثيراً من الأدباء والشعراء ، وقد أصبح الشعر سمةً بارزة في تاريخ مدينة النجف الأشرف عبر مختلف العصور ؛ وما ذلك إلاّ وليد حركة علمية اتسعت آفاقها منذ عدّة قرون ؛ لهذا كثر الشعر والشعراء فيها ، ويغلب على هذا الشعر التنافس بما يقوّي كلّ نفس أن ترتفع عن أمثالها .

ظلت مدينة النجف الأشرف مركزاً للعلم والأدب والدراسات الدينية ، فما برحت متوَّجةً بأهل الأدب في الحديث والقديم ، مطرَّزةً من فضلاء الفقهاء والشعراء والكتاب والخطباء ، وكان من بين هؤلاء رياض حمزة شير علي الكاتب المعروف .

في هذا الجو المفعم بالعلم والأدب نشأ رياض شير علي أديباً معروفاً ، وعلى الرغم من شهرته بالكتابة فقد كان شاعراً مبدعاً ، ملك الشعر عليه إحساسه ، وقد ساعده على صقل شاعريته بيئة النجف الأدبية ، تلك البيئة التي ساهمت إلى حدٍّ كبير في المجالات الدينية والفكرية والاجتماعية في إعداد شخصيته وصقلها ، وتكوين عقله وثقافته ، حيث كانت النجف مركزا للعلم والفقاهة والأدب والدراسات الدينية ، وقد انبثق من صميم هذه المدينة جهابذة العلم ، وعمالقة الأدب والخطابة .

ترك رياض حمزة شير علي تراثاً ضخماً يشهد له بنبوغه ، وسعة ثقافته ، وتقدّمه على كثير من أقرانه . وكان من بين ما تركه شعره الذي ضاع أكثره ، ولم يبقَ منه إلاّ بقية احتفظت بها بعض الكتب والصحف ، وعلى الرغم من قلة ما وصل إلينا من شعره ، فقد أفدنا منه كثيراً في معرفة بعض الجزئيات التي تخصُّ حياته ، ومعاناته في الغربة بعيداً عن أهله ووطنه .

وقد وجدتُ في شعره مادة غزيرة للكشف عن جوانب الحياة والطباع ، ومظاهر السلوك والنشاط الإنساني فضلاً عن الصور والمشاهد الغنية والدقيقة للبيئة التي عاش في كنفها ، وتفيأ بظلّها ، وهذا ما دفعني إلى دراسته ، إذ وجدته موضوعاً جديراً بالبحث وبذل الجهد ؛ ليكون بحثاً علمياً في الدراسة الأدبية .

ولعلّ أهم ما يعنى به هذا البحث هو استجلاء خصائص هذا الشعر الفنية على صعيد الشكل والمضمون ، وقد حاولتُ جاهداً أن أبين أبرز هذه الخصائص .

ومن هنا فقد اشتملت هذه الدراسة على تمهيدٍ ومبحثين ، تناولنا في التمهيد حياة الشاعر وبعض مواقفه السياسية .

أما المبحث الأول فيتعلّق بدراسة الصياغة والأسلوب ، بينما يتعلّق المبحث الثاني بدراسة المحتوى والمضمون .

التمهيد : (حياة الشاعر)

ينتمي الشاعر رياض حمزة حمادي إلى أسرة أل شير علي ، وهي أسرة نجفية معروفة استوطنت النجف منذ عهد غير بعيد ، وهي غنية عن التعريف[١] .

ولد الشاعر في مدينة النجف الأشرف سنة ١٩٢١ ، وفيها نشأ وترعرع ، ومنها اكتسب علومه ومعارفه ، وقد أهّلته هذه الدراسة ؛ لأن يكون شاعراً مبدعاً ، وكاتباً معروفاً له اليد الطولى في الصحافة ، وقد أثنى عليه مترجموه ، فهو (كاتبٌ فاضل مؤلف ، ناقد كثير الإنتاج والكتابة)[٢] ، وكان (متكلماً مفوّهاً له قدرة كبيرة على الارتجال ، ووصف بالكاتب الجريء)[٣] .

وعلى الرغم من شهرته صحفياً فقد شبّ محبّاً للأدب ، يحسن قرض الشعر ، وقد تفتحت موهبته الشعرية في سن مبكرة ، وقد ساعده على صقل شاعريته بيئة النجف الأدبية ، تلك البيئة التي أسهمت إلى حدٍّ كبير في إعداد وصقل شخصيته ، وتكوين عقله وثقافته ، فضلاً عن اطلاعه على دواوين الشعراء العرب ، فكان ذلك خير رافد يستعين به على شعره .

ولم يصل إلينا من شعره إلاّ القليل ، ولو قدّر لشعره أن يصل إلينا كاملاً ؛ لصار ديواناً ضخماً ، يمكن الإفادة منه ، ولزوّدنا بتفصيلاتٍ مهمّة عن حياته ، والأحداث التي رافقت عصره ، فضلاً عن كونه أثراً مهماً من آثار رجلٍ عاش حياة الغربة بعيداً عن الأهل والوطن .

ومن يتأمَّل شعره يجده يستعينُ في نظمه بما لديه من ثقافةٍ ومفرداتٍ علمية ، وآياتٍ قرآنية ، كما نلمحُ فيه إشاراتٍ تاريخية ، وذكراً لأعلام الفكر والأدب ، تُعطينا فكرةً واضحة عن ثقافته التاريخية ، فضلاً عمّا تركه من مؤلفات ورسائل تُنبيء عن ثقافة واسعة ، ونبوغ كبير ، وبذا يتَّضحُ لنا رافدٌ مُهمٌ من روافد ثقافته ، وكان من بين ما تركه من مؤلفات : الأعور الدجال ، تحية الأنصار ، حجارة من سجيل ، نفاق الرفاق ، إلى غير ذلك من المؤلفات [٤] ، كما أصدر الشاعر جريدة الحوزة في النجف[٥] ، وهي جريد أدبية اجتماعية أسبوعية ، وجريد الصحيفة في بغداد[٦] .

اعتقل عدّة مرّات في بغداد بسبب مواقفه السياسية ، ثم أفرج عنه ، فغادر العراق عام ١٩٦٢، متوجّهاً إلى الأردن ، تجوّل في البلاد العربية ، والإسلامية ، وأخيراً استقرّ في الأردن فعمل في الإذاعة الأردنية معلقاً سياسياً[٧] .

عاش الشاعر رياض شير علي حياة الغربة ، وقسوة الأيام ، بعيداً عن أهله ووطنه ، وهو وإن استوطن عمّان ، وعاش في كنفها فقد ظلّ يحنُّ إلى بلده حنيناً متصلاً ، وظلّ قلبه يهفو إليه ، وإلى ترابه ومائه ، يتشوّق إلى مراتع صباه به ، وهذا ما نراه واضحاً في شعره حتى أنه صار يشكّلُ غرضاً بارزاً من أغراض شعره ، ومن ذلك قوله[٨] :

هلْ يشغلُ القلبَ عن أفراحِ عمّانِ ... بُعدي عن الدار في أرجاءِ بغدانِ ؟
حاشا فعمّانُ بغدادٌ وإنْ بعدتْ ... عنّي الديارُ ، وإن شطتْ بشطآنِ
والرافدان وإن عزّت ديارُهما ... لا فرق بينهما والأردنِ القاني
وفي الفراتين أهلي لستُ أنكرُهم ... لكن هنا شُفعاء الإنس والجانِ

كان الشاعر رياض واسع الثقافة ، رحب الأفق ، وطنياً غيوراً يعشق الحرية ، ويدافع عنها ، وقد أدرك ما أصاب البلاد من محنٍ ومآسي ، وكان يدفعه في ذلك الدافع الديني والوطني ؛ فهو شاعر عميق النظرة والسياسة يتجلّى ذلك في أكثر من موقف ، لقد شارك الشاعر في تصوير الحياة السياسية ومآسيها التي حلّت بالبلد ، وصراع الشعب مع الطغاة ومأجوريهم ، فتضرق نفسه بما يرى حوله من الجمود فيصف الحال[٩] :

دوّخوا القطر عراكاً وشجارا ... أثخنوا الأمن جراحات مرارا
فطغى الإجرام لا يُوقفهُ ... عنف سجّانٍ ولا شنق جهارا
ما الذي يوقفه في جزعِ ... يسأل الشعب ولم يسمع حوارا
هل يجيبُ الشعبُ عن محنته ... حاكمٌ أذهله الداء فحارا
أم قوانين وتعديلاتها ... نصف قرنٍ كانت العقبى خسارا
أم يُجيب الشعب سجن سورِهِ ... ملّ أضياقاً وعنفاً وحصارا
مشكلٌ قد جعل الناس حيارى ... هدد القطر خراباً ودمار ا

وتزدادُ آلامه ، ويكثر توجعه لهذا الشعب الذي يعتسفه الطغاة ظلماً وعدواناً ، ويعبثون بأمنه ، فصار عرضة للتمزق بسبب الأهواء والمصالح ، وبالنتيجة ينفث حسراته فلا يجد إلاّ أن يقول وهو يستنهض الهمم ، ويشحذ العزائم ، ويلهب الحماس في نفوس الغيارى من أبناء هذا الوطن[١٠] :

عاهدوا الله وشعباً مثخناً بجراح الغدر ظلماً وانتقاما
عصبة الإيمان هل يرهبُها وحشة السجن ، وهل تخشى الظلاما ؟
وكؤوس الموت كانت عندهم في سبيل الشعب شهداً ومداما
توّجوا القطر بمجدٍ شامخٍ جاوز الجوزاء ضياءاً ومقاما

عاش الشاعر أدواراً مختلفة من الحياة السياسية ، ومرّت عليه أفكار مختلفة ، وله مواقف كثيرة وصريحة في نصرة الحق والثبات على المبادئ ، وقد كانت الفترة الزمنية التي عاشها هذا الشاعر فترة انتفاضة سياسة حاول فيها كلّ قطر عربي أن يكافح من أجلّ الحصول على استقلاله الذي فقده منذ حقب بعيدة ، وتزداد آلامه حين يرى ا لفرقة والتمزق فيصرخ بلهجةٍ تنضح بالمرارة والنقمة قائلاً[١١] :

مزقوا الأوطان في تجزأةٍ وكياناتٍ تعامتْ مُقلتاها
مزقوا أشلاءنا في لعبةٍ وسقوا صهيون أشهى مُشتهى
منحوا وعداً إلى شرذمةٍ ضجّتِ الأرض احتجاجاً وسماها

إنّ شعره فيه صدًى لأحداث ال عراق والأمة العربية وآمالها نابعٌ عن إيمانه بالإسلام والعروبة جميعاً ، إنه يدعو دائماً أبناء الشعب العربي إلى الوحدة العربية الكبرى ، وجمع الكلمة ، فيصرخ هاتفاً[١٢] :

فدونكم إن شئتم الخير نهجه إلى وحدةٍ كبرى ، وللرأي وحدوا
ألا حققوا للعرب حلماً يراودُ ليسكتَ ثرثارٌ ويخسأ حُسّدُ

تناول في شعره كثيراً من الموضوعات والقضايا لاسيما تلك التي تتعلق بالقضية الفلسطينية التي تنم عن اعتداده بالعروبة لذا نراه يشن هجوماً عنيفاً على الكيان الصهيوني[١٣] :

مهلاً بني صهيون أن كيانكم ثلجٌ وفي حِممِ الدروع يموعُ
وتظلُّ توراة الكليمِ وشأنها فالعفو في أخلاقنا مطبوعُ
قد جرّب التاريخُ مبدأ حكمنا لا الجورُ يعرفنا ولا الترويعُ

توفي الشاعر في مستشفى عمان العسكري يوم الخامس من حزيران سنة ١٩٧٦م ، ودفن في عمان غريباً عن أهله ووطنه .

***

المبحث الأول
في الصياغة الأسلوب

يعدُّ رياض حمزة شير علي شاعراً مبدعاً ، ملك الشعر عليه إحساسه ، فمضى من خلال ه يصوغ أفكاره ، ويفرغ همومه وآلامه عبر قصائد اتسمت بدفق العاطفة ، ورهافة الإحساس ، وعلى الرغم من أن شعره جاء مكتملاً من جميع الوجوه الفنية ، إلاّ أنه لا يرقى إلى مستوى الفحول من

شعراء عصره قوّة ومتانة ، وهذا واضح لمن يتأمل شعره . وكان لابدّ لي من دراسة هذا الشعر دراسة فنية ، تستجلي خصائصه وسماته على صعيد الشكل والمضمون ، ولعلّ من أهم الأمور التي تناولتها الدراسة الفنية في هذا البحث ، هو بناء القصيدة عند الشاعر رياض شير علي ، والأسلوب الذي ينهجه في عملية النظم ، وكان من بين هذه الأمور التي حظيت بالدراسة خصائص الشكل ، فيما يتعلق ببناء القصيدة واللغة والموسيقى ، وكلّ هذه الأمور تتعلق بالمظهر الخارجي للنص الشعري .

أوّلاً ـ البناء الفني في شعر رياض شير علي :

إنّ ما يتعلق بالمظهر الخارجي للنصّ الشعري من حيث طبيعة بنائه ، أو الأسلوب الذي يتبعه الشاعر في عملية النظم ؛ هو :

(١) القصيدة :

وبناء القصيدة عند الشاعر رياض شير علي لا يختلفُ عن بناء القصيدة عند غيره من شعراء عصره ، أو الذين سبقوه ؛ فهو وإن كان يقتفي أثر من سبقه من الشعراء في النظم ، إلاّ أنه يختلف من حيث الموضوع الذي يتناوله في المقدمة ، فقد جرت عادة الشعراء أن يبدؤوا قصائده م بمقدمات غزلية أو طللية ، أما شاعرنا فإنه يهجم على موضوعه مباشرة من غير أن يمهد له ، وبذلك فقد استغنى عن حسن التخلص ، وهذا ما نلاحظه في كثيرٍ من شعره ، ومن ذلك قوله من قصيدة مرفوعة إلى سماحة الإمام السيد محسن الحكيم – طيب الله ثراه ـ[١٤] :

أنت هشّمت منجلاً أنت حطّمت مطرقهْ

وقوله يحيّ الدكتور عبد الوهاب السعيد[١٥] :

إن هدّ مجدُكَ تلفيقٌ وبُهتانُ يهتزّ حمرين بل ينذّك ثهلا نُ

وقوله يخاطب الدكتور سعيد عيسى الخلف[١٦] :

سعدتُ أبا سعدٍ وطاب بك الذكرُ وبوركتَ فيما يبتنيه لك البرُّ

وقوله في الدكتور عبد الرزاق الفلوجي طبيب الأسنان ، وهو مطلع قصيدة[١٧] :

مجدّتُ فيك نزاهة وعدالة فاسلم فقد عزّ النزيه العادلُ

وقد نظفر في شعره بمقدمات غزلية وهي قليلة نادرة ، ومن ذلك مقدمة لقصيدته الهائية التي أهداها إلى صديقه الدكتور يوسف القاضي[١٨] :

دعْ عنكَ ليلى فما في الشعر يكفيها ودعْ خرائب أسلافٍ تناجيها
وغنّنا من رقيق الشعر قافيةً لها الرئيس بفردوسٍ يقفّيها
قد أخصبُ الفكر وازدانت مراتعُهُ ورفرف العلمُ أعلاماً بقاضيها

وهكذا لو استعراضنا سائر مقدماته ، فإنها تجري على هذا المنوال ، ولعلّ الشاعر عند تناوله الموضوع مباشرة ، يريد أن يواجه الحقيقة ، ويعيش الواقع ، بعيداً عن الشكليات ، وقضايا الغزل الموهوم الذي لا طائل منه .

أما خواتيم قصائده فأكثرها تنتهي بالدعاء كما في قوله[١٩] :

وأنت يا سيدتي مليكتي زين الشرف
لك البقاء والعزا أشباله خير خلفْ

وقوله خاتمة قصيدةٍ مدح بها الدكتور عبد الرزاق الفلوجي[٢٠] :

ويظلُّ يضرعُ للمهيمن داعياً أن لا يريك سوى السعادةِ ترفلُ

وينهي قصيدته اللامية التي أرسلها إلى الإمام محسن الحكيم بهذا الدعاء[٢١] :

رعاك الله للإسلام حصناً وسيفاً للعراق به نصاولْ

وقد يختمُ بعض قصائده بإهدائها إلى الممدوح ، مُشبِّهاً إيّاها بالروض الزاهي ، كما في قوله في خاتمة قصيدةٍ مدح بها وصفي التل رئيس وزراء الأردن سنة ١٩٧١م[٢٢] :

ولذا أتتك قصيدتي بعد التجاربِ والدراسهْ
ثقةَ المليك وشعبِهِ والأمرُ شورى في السياسهْ

وإلى جانب هذه الخواتيم التي جاءت في غاية الروعة والوضوح ؛ فإنَّ هناك نهايات لبعض قصائده تشعرُ بأنَّ المعنى ما زال مستمرّاً ؛ فكثيراً ما يُنهي الشاعر قصيدته فجأةً ومن دون ختام ، وكأنَّ الكلام قد قطع ، فيبقى المعنى عالقاً في الذهن بحاجةٍ إلى تكملة ؛ وهي في جملتها لا تشكِّلُ

ظاهرةَ لقلة ورودها في قصائده ، ومن هذا القبيل قد نظفر ببعض النماذج حيث يقطع الشاعر قصيدته بما يشعر أنَّ الكلام جاء مبتوراً ، ومن ذ لك قوله في رثاء الإمام محسن الحكيم – قدّس الله سرّه - فينهي قصيدته بالوقوف عند هذين البيتين[٢٣]:

والله لولا محشرٌ والخوف من باري الطبيعهْ
أهلكتُ نفسي بعدكم وأسلتُ من قلبي نجيعهْ

(٢) المقطوعة :

يرادُ بالمقطوعة الأبيات القليلة التي يقولها الشاعر في مناسبة معينة[٢٤] ، يستطيع من خلالها أن يعبِّر عمّا يجيشُ في صدره من انفعالاتٍ وأحاسيس يمرُّ بها ، وأن نزوع الشاعر إلى هذا القالب البنائي من النظم يتيح له أكثر من القصيدة فرصة التعبير السريع عن حالته النفسية التي يمرُّ بها ، وهي ناجمة عن انفعالات وأحاسيس عميقة الوصف ؛ لأنَّ اقتصار الشاعر في نظمه على البيتين والثلاثة يً ُلبِّي حاجته ، ويحقق له غرضه أكثر ممّا تحقّقه القصيدة الطويلة التي تتباين فيها الانفعالات ، وتتبدَّد في تضاعيفها المشاعر ، كما إنّ هذا الاختصار يسمح له (أن يعبّر عن المضمون الواحد في الموقف الواحد بالسرعة المطلوبة بل إنّ كبار الشعراء المقصدين لجأوا إلى قالب المقطوعة عندما كانوا يشعرون أنّ القصيدة ل تسعفهم في سرعة الردّ على الخصم ، أو لن تحقّق لهم الهدف الذي يرجونه في التعبير المباشر عن الفكرة الملحة التي تضغط على مشاعرهم)[٢٥] .

وإذا تأمّلنا المقطعات في شعر رياض شير علي نجدها كثيرة ومتنوعة ؛ فهي لا ترتبط بغرض دون آخر ، وإنَّما هي سمة عامة تبدو واضحة في شعره ، وفي أغراضه كافة ؛ كالمديح ، والغزل ، والشكوى ، والوصف ، والرثاء ، والعتاب..... .

ثانياً- اللغة :

إنَّ لغةَ الشاعر رياض حمزة شير علي تتّسمُ بسهولة ألفاظها ، وو ضوح أفكارها ، وبعدها عن التعقيد ، وسلامتها من أود النظم والتأليف ، ومع كونها لغةٌ فصيحة إلاَّ أنّ بعض الألفاظ العامية قد تسللت إليها بقصد أو دون قصد ، وهذا لا يدعو إلى الغضّ من قيمة شعره الفنيَّة ؛ فهو شاعر متمكن من فنِّه ، يعرفُ كيف يستثمر المفردات العامية في إيراد ما يريد من المعاني والأخيلة والصور ؛ إنّه يصوغها بمهارةٍ فنيَّة في قالبٍ شعري رائع ، كما إنَّه لا يتدانى في المعاني العامية إلى ما تمجُّهُ النفوس ، وتعافه الأذواق ؛ إلاّ في بعض المواطن التي رصدتها من خلال استقراء شعره على نحو ما جاء في قوله[٢٦] :

وراح درويش إلى رهطه يشكو كساداً ما له ثانِ

وقوله[٢٧] :

نقرة السلمان عانتها وبالا وسجون القطر أيّاماً طوالا
بيد أن الليث في وثبته هدم التكتيك فانهار وزالا

وقوله[٢٨] :

وهيهات هيهات الهدوء بربعنا لأن - ميليشيا القطر – تغتالُهُ جهرا

لا يخفى على القاريء إنّ الألفاظ (درويش ، نقرة السلمان ، التكتيك ، ميليشيا) الواردة في هذا النص ؛ هي ألفاظ عامية بعضها دخيلة على العربية ، لم يتوخَّ الشاعرُ فيها الفصاحة ؛ لأنه أراد أن يصوِّر حالة شعورية مرّت به ، ولم يجد غير هذه الألفاظ إمعاناً في التعبير عمّا يدور في خلده .

ومن التعبير العامية قوله[٢٩] :

وصفّق الشعبُ مسروراً وفي أسفٍ قد ساءل الشيخ (حاميها حراميها)

فتعبير (حاميها حراميها) مثل عامي مشهور ما زال يستعمل إلى اليوم .

وإلى جانب شيوع الألفاظ العامية في شعره ، وقوعه في كثير من الهفوات والأخطاء الصرفية واللغوية ، ومن ذلك قوله[٣٠] :

قلتُ : هلْ فيها مُناكْ قال : ئي فيها مناك

أراد الشاعر أن يقول (نعم) فألجأته ضرورة الوزن إلى الوقوع في هذا الخطأ فذكر (ئي) بدل نعم ، ولو قال : قال بل فيها مناك ، لكان أجدر ، وبذلك قد تجنّب الوقوع في الخطأ.

وقوله[٣١] :

وإذا كنتُ خطيباً بينكم قاطعوا قولي (يعيشُ الأغبرُ)

أخطأ الشاعر في كلمة (أغبر) التي هي بمعنى (علاهُ الغبار) لأنَّ الشاعر حينما أراد أن يذم أحد الزعماء بهذا اللفظ الذي يعني في العامية من لا يرجى خيره ، ولا حظ له ، فوصفه بالعجز والتخبط والفشل في سياسته ، وقد ألجأته ضرورة الوزن إلى استعمال كلمة (أغبر) وهي كلمة عامية خرجت دلالتها الأصلية إلى دلالة لا وجود لها في أصل اللغة .

وقوله[٣٢] :

ستقول ما هذا الكلام وللرسالة تعفس

وهم الشاعر في قوله (تعفس) ؛ لأنّ الذي يجمع ويكور إنما هو بالشين ، وهو أشهر من أنْ ينبَّه عليه ، والعفس بالسين بمعنى طرحه على الأرض وضغطه ضغطاً شديداً .

ثالثاً- الموسيقى :

تظهرُ عناية الشاعر بأسلوبه ، وتأنّيه في إقامة موسيقى عباراته من خلال اختيار الألفاظ وتجانسها فيما بينها تجانساً صوتياً يكسبُها دفقاً إيقاعياً ، ذلك أنَّ عناصر الموسيقى والإيقاع تتصهر في حركة وزنية تحدّدها طبيعة العلاقة بين هذه العناصر من جهة ، وبين المقاطع الطويلة ، أو القصيرة من جهة أخرى مع وقع القافية المتكرر ، وما يحدثه رويّها م ن حركة انفجارية تغور في أعماق الفكر ؛ لتحدث في النفس هذا التأثير القوي المتسق .

ومن هنا فإنّ اختيار اللفظ وتنسيقه واستعماله بما يتلاءم مع غيره في السياق الذي وضع فيه له خاصيّة فنيّة ، لأن (القيمة الذاتية للفظ تكتسبُ أهمّيتها من خلال اتساقها وتلاؤمها مع س ائر الألفاظ فتكسبُ الكلام نغماً تهشُّ له النفوس)[٣٣] ؛ لهذا شغفَ العرب بموسيقى الألفاظ وجمال وقعها (وما الإعلال والإبدال والإدغام ، وعدم جواز الابتداء بالساكن إلاّ مظهرٌ من مظاهر اهتمام العرب المفرط بجعل الكلمة وحدة منسجمة تخفُّ على اللسان ، ويعذبُ وقعها في السمع)[٣٤] ، إذ تبقى الموسيقى من أبرز العناصر التي تميِّز الشعر من غيره من فنون القول المختلفة ، فهي ترتبط في نسيجٌ متلاحم بالعناصر الأخرى المكونة للقصيدة (هذا بالإضافة إلى أنَّ جزءاً مهماً من موسيقى الشعر نابعٌ من علاقات اللغة وأصواتها ونبراتها ، وما تحمله تلك النبرات والأصوات من مشاعر ، ومن هنا نشأت العلاقات العضوية الحيّة بين الوزن وغيره من مقومات العمل الفنّي على الأخص اللغة التي هي مستودع الانفعال والموسيقى والصورة)[٣٥] .

ومن يتأمل شعر رياض شير علي يجد أن أكثره تتوافر له ضروبٌ من القيم الصوتية ا لمتناغمة التي تزيد النصّ موسيقى وجمالاً ، وتكسوه رونقاً وحسناً ، فتنفعل لموسيقاه النفوس ، وتتأثر بها القلوب ، وأوّل ما نبدأ به من هذه العناصر ، هو:

١- الوزن والقافية :

الوزن مظهرٌ من مظاهر الإيقاع الداخلي له أثرُهُ وارتباطهُ بالمستوى الفنّي للقصيدة ، فه و أشبه بالسياج المتين الذي يوحِّد القصيدة ويحفظها من الانفلات والتبعثر ويلمُّ ها داخل حاشيةٍ متميِّزة ؛ كما إنّه يهب المعنى قوّة ، ويجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه من خلال هذا النغم الشفاف الذي يحتوي أجزاء البيت فينسابُ عبر نُقلاتٍ متناسقةٍ منتظمة تمنحُ اللفظة قوَّة في الأداء ، ومرونة في التعبير .

لقد نظم الشاعر رياض في أكثر الأوزان المعروفة في الشعر العربي ، وكانت أوزانه صحيحة من الناحية العروضية ؛ إلاَّ أنَّه وقع في شعره شيءٌ من الزحاف والعلل شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء .

أما القافية فهي عنصر مهم من عناصر تعميق الموسيقى ، وهي لا تقلُّ أهميّة عن الوزن ؛ لأنَّ أحدهما متمِّمٌ للآخر ؛ لهذا عُدَّتْ القافية (شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يُسمَّى الشعرُ شعراً حتّى يكون له وزنٌ وقافية)[٣٦] ، ومن خلال استقراء شعر الشاعر رياض شير علي نجد أنّه نظم في سائر حروف الهجاء ؛ فأكثر من الدال ، والراء ، واللام ، والميم ، والنون ، وهذه الحروف أكثر شيوعاً في الاستعمال ، ودوراناً على الألسن ، وقلّت قوافيه في الحروف النادرة ؛ كالثاء ، والخاء ، والذال ، والزاي ، والشين ، والصاد ، والظاء ، والغين ، والواو .

وعلى الرغم من مطاوعة القوافي له ، وتمكُّنِهِ منها فقد وقع في بعض عيوبها ، ومن هذه العيوب الإيطاء ؛ وهو (أنْ تتكرّر القافية في قصيدةٍ واحدةٍ بمعنى واحد)[٣٧] .

إنَّ تكرارَ القافية مرتين في القصيدة الواحدة ـ لفظاً ومعنًى ـ عدَّهُ النقاد عيباً ؛ لأنّه دليل من أدلة الإهمال في تهذيب قوافيه ، إلاَّ إذا جاءت بعد سبعة أبيات بوصفها إذْ ذاك كما لو كانت مفتتح قصيدة جديدة[٣٨] ، ولكننا نرى أنه يحقّقُ قيمة موسيقية للنصّ الشعري الذي يردُ فيه ، بوصفه ضرباً من ضروب التكرار في نهاية الأبيات ؛ فهو يسهمُ جنباً إلى جنب مع عناصر الموسيقى الأخرى من وزن ورويّ على خلق أصداءٍ وأنغامٍ إضافية ، ومن الإيطاء الذي ورد في شعر رياض حمزة شير علي قوله[٣٩] :

بيت البتول فاطمٌ بفضلِها الخصم اعترفْ

ثمّ يقول بعد مُضي ثلاثة أبيات حيث يكرّر الشاعر القافية (اعترف) لفظاً ومعنًى :

تاريخكم معجزةٌ عدوّكم فيها اعترفْ

٢ـ التصريع :

ويستطيعُ الشاعرُ أنْ يوفِّرَ المُوسيقى لشعره إذا اعتمدَ التصريعَ ، وهو (عبارة عن استواء آخر جزءٍ في صدر البيت ، وآخر جزءٍ في عجزه في الوزن والروي والإعراب)[٤٠] .

والشعراء يحبِّذون التصريع ويؤثرونه في مطالع قصائدهم ؛ لأنَّه صورة من صور الإيقاع المتناغم ، الذي يترك أثره على النفس ، ووقعه على الأذن فيكسُو البيتَ الذي يردُ فيه جمالاً ، ويزيدُهُ قوّةً في الرنين ؛ بسبب تعاقب المقاطع على نحوٍ منتظم فيشتدُّ وقعها ، ويتلاحق تأثيرها ، وأليق التصريع (ما يكون بمطالع القصائد ، وفي وسطها ربما تمجُّهُ الأذواق والأسماع)[٤١] ، ومثل هذا وقع لشاعرنا فإنَّه صرَّع مطلع قصيدة حماسية[٤٢] :

قالت بنيات باقصى العراق نريد حناء بكل اشتياق

ويسترسل الشاعر بهذا الحماس حتّى يصل إلى البيت السابع حيث يأتي به مصرّعا :

حناؤهم كانت دم الانعتاق تشرق أمجاداً وفيها ائتلاق

لقد حفل الشاعر بمطالعه كثيراً من خلال عنايته بالتصريع ، فجاءت أكثر مطالعه مصرّعة إلاَّ قليلاً منها ، فمن جمال التصريع الذي ورد في شعره ، على نحو ما جاء في قوله[٤٣]:

يا بسمة الخير ببغدان ونفحةٍ من عالمِ ثانِ

ولا يخفى على المتأمِّل لهذا التصريع أنْ يتحسَّس لذّته عبر هذا الإيقاع المطرب الذي ينتظمه وزن مرقص مقرون بقافية جميلة ، يأخذ بالألباب ، ويسحر النفوس فيجعلها تذوب صبابة ، وتمتزجُ بنفس قائلها .

٣ـ التكرار:

يكتسبُ التكرارُ قيمتَهُ الموسيقية من (دلالة اللفظ على المعنى مردّداً)[٤٤] ، ويراد به (تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكِّلُ نغماً موسيقياً يتقصده الناظم)[٤٥] ، وهذا يعني أنَّ استعمال الألفاظ وإعادتها يُساعد على إثراء النص بالموسيقى ؛ لما للتكرار من (أهمية كبرى في عملية الإيقاع ، وإنَّ وجوده أحياناً يعتبر وجوداً عضوياً حتى لو كان في أبسط مستوياته)[٤٦] .

وتظهرُ عنايةُ الشاعر بالتكرار بما يتحقَّق لديه من دلالاتٍ وإيحاءاتٍ تسهمُ في خَلقِ أصداءٍ وأنغامٍ إضافية تسعى إلى الاستحواذ على أجزاء النص الذي تردُ فيه ، بما يمنح الفرصة في توليد موسيقى ظاهرية فيه تتجلّى في هذه الألفاظ المكرّرة والموزونة ، فضلاً عن القيمة الدلالية التي

تكتسبها هذه الألفاظ ، لأنَّ (التكرار يقرع الأسماع بالكلمة المثيرة ، ويؤدي الغرض الشعري)[٤٧] ، وشعر رياض شير علي حافلٌ بالتكرار ، ومن ذلك قوله[٤٨] :

وهيهات هيهات الهدوء بربعنا لأن - ميليشيا القطر – تغتالُهُ جهرا

وقال[٤٩]:

أين الذي كان فيكم يا أهاليها يعالجُ الموت في صبرٍ ليُنهيها
أين الذي (لندن) ما كان يُعطيها مثل الذي تبتغي بل كان يخزيها
أين الذي كان (باب الواد) يحميها أين الذي (القدس) في صدقٍ يُفديها
أين الذي سفّه (اسرائيل) تسفيها ولم يقل (ظافر) عندي سيفنيها
أين الذي كان لا يخشى نواهيها ولم يقل (قاهر) عندي سيفريها
أين الذي ما ادعى يوماً بناديها إن الضباب كثيف في روابيها

في هذا النص يكرِّر الشاعر عبارات بعينها ، وقد جاءت منغمّة رتيبة ملائمة للمعنى في توا ليها وانسجامها مع غيرها ، كما جاءت الأبيات مصرّعة فأضفت على النص إيقاعاً يشدّ ا لسامع إليه ، ويجلب انتباهه .

وقال[٥٠] :

حدّثينا عن (حكيم ملهم) جار حكم الدهر فيها وأطالا
حدّثينا عن (هزبر فاتك) فتك الدهر به فتكاً عضالا
حدّثينا عن (عظيم مقعدٍ) كان لا يرضى قعوداً وانعزلا
حدّثينا عن (مليكٍ ثائرٍ) ارتضى أرضك نزلاً لا نزالا

استطاع الشاعر أن يوفِّر لهذا النصّ إيقاعاً نغمياً ، وتكثيفاً دلالياً ، تتحد الدلالة الصوتية مع الدلالة الفنية في إبراز النص معمّقاً في كلتا الدلالتين من خلال هذا الصدى المتتالي لحركة الأبيات الإيقاعية المتمثِّل بتعاقب عبارة (حدّيثينا عن) على نحوٍ منتظم في كُلِّ بيت .

وقال[٥١] :

حدّث فديتك نفسي عن رحلةٍ كانت سريعهْ
حدّث فديتك نفسي عمّا رأيت لكي نذيعهْ

فالشاعر في هذين البيتين يكرِّرُ عبارة (حدّث فديتك نفسي) ليضفي على النص وقعاً موسيقياً يتحسّسه المتلقي ، ويستجيبُ له بما يجدّدُ من نشاطه ، ويجلب انتباهه لمعرفة ما يلقى إليه من مضمون .

٤ـ الجناس :

يبقى الجناس مظهراً من مظاهر الزخرفة اللفظية يرفدُ النصَّ الذي يردُ فيه بتجانس موسيقي دقيق ، بوصفه (ضرب من ضروب التكرار المؤكد للنّغم من خلال التشابه الكُلِّي ، أو الجزئي في تركيب الألفاظ)[٥٢] .

وأهمية الجناس أنَّهُ أسلوب في نظم الكلام يتطلّبُ مهارة خاصة ، وقد لا يقدرُ عليه إلاَّ الأديب الذي وهب حاسة مرهفة في تذوّق الموسيقى اللفظية[٥٣] .

والجناس صورة من صور الألفاظ (إذا أتت منقادة للمعنى ، كان لها وقعٌ لطيف بما تحمله من موسيقى وتجانس وانسجام ، وهذه أمورٌ لها وزنها في التأثير والإثارة)[٥٤] .

وجودةُ الجناس وحسنه (إذا قلَّ ، وأتى في الكلام عفواً ، من غير كدٍّ ولا استكراه ، ولا بعد ، ولا ميلٍ إلى جانب الرِّكة)[٥٥] .

والجناس الذي سنتحدّثُ عنه في شعر رياض شير علي كثير ، وسأكتفي بإيراد بعض الشواهد؛ فمن الجناس التام ، وهو أنْ يتشابه اللفظان في النطق ، ويختلفان في المعنى[٥٦] كما في قول[٥٧]:

قلتُ : هلْ فيها مُناكْ قال : ئي فيها مناك

فقد جانس بين (مناك) التي هي بمعنى الهنية ، و (مناك) التي هي بمعنى الأمنية . وهذا التجانس بين اللفظتين يعملُ على إثراء مُوسيقى البيت من حيث توافق نغمِهِ ، وانسجام جرسِهِ فتغلبُ عليه رنَّةٌ موسيقية تطربُ لها النفس .

وقوله وهو من الجناس المشتق[٥٨]:

وبدت (لن دن) في أعجوبةٍ تدعو للعرب وتنصاع انصياعا

وقوله[٥٩] :

مزّقوا أشلاءنا في تجزأةٍ وسقوا صهيون أشهى مشتهاها

وقال[٦٠] :

ثم يا شعبان لا يخجلنا أننا عربٌ ولا نخطو خطاها

ففي هذا النصوص نجد تكثيفاً للجرس المتولد من أثر التقلبات الصرفية في بنية الألفاظ ، وقد أسبغت على الأبيات مزيداً من النغم .

***

المبحث الثاني
في المحتوى والمضمون

كان لابدّ من النظر في أشكال التعبير التي تتعلق بمضمون النص ومحتواه ، وكان من بين ما تناولته هذه الدراسة هو الخيال والصورة ، ويعدُّ الخيال عنصراً مهماً من عناصر التعبير والتصوير ، وبه استطاع الشعراء أن ينفذوا إلى عقول السامعين ، ولا شكّ إن الشاعر المبدع الذي يكسو موضوعه الجاف لمحة من الخيال فتزداد بساطته تأثيراً .

والخيال في أيسر تعاريفه وحدوده هو (الملكة التي يستطيع بها الأدباء أنْ يؤلِّفوا صورهم ، وهم لا يألِّفونها من الهواء ؛ وإنّما يؤلِّفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها تختزنها عقولهم كامنة في مخيَّلتهم حتّى يحين الوقت فيألفوا الصورة التي يريدونها)[٦١] . وكثيراً ما يستعينُ الشاعر رياض شير

علي بالخيال على تأليف الصور وإبرازها في حُللٍ زاهيةٍ جذابة تستهوي ال متلقي وتدفعه إلى التأمُّل فيها .

ومن هنا فالشاعر يستعينُ بالصور البيانية من خلال ما يعتمده من وسائل التصوير الفنّي التي لا تخلو من تشبيهٍ مليح ، أو استعارة جميلة ، أو كنايةٍ مُستملحة ؛ وأولُ ما نقفُ عنده من هذه الوسائل :

أولاً- التشبيه :

التشبيه من عناصر التعبير الذي يستعين به الأدباء في إبراز الصورة البلاغية للشكل ، و يحتلُّ التشبيه موقعاً أثيراً في البلاغة العربية ، بوصفه معياراً للفطنة والبراعة[٦٢] ، ويراد به (الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء في نفسه)[٦٣] .

وأهمية التشبيه أنّه يزيد المعنى وضوحاً وقوّة وتأثيراً ، ويكسبه رونقاً وجمالاً (لإخراجه الخفي إلى الجلي ، وإدنائه البعيد من القريب)[٦٤] ، ويشغلُ التشبيهُ حيّزاً غير قليلٍ من شعر رياض شير علي ، ومن النصوص التي ورد فيها التشبيه قوله[٦٥] :

ومصُّ الثغر في رفقٍ لأنّ الريق كالخمرِ

وصورة التشبيه واضحة ، فقد شبّه ريق المحبوب عند ارتشافه في عذوبته وطيبه بالخمرة التي تغرق شاربها في نشوة السكر .

وقوله[٦٦] :

فاستطابوا دماءنا كخمور معتقهْ

وهو لا يختلف عن سابقه ، فقد شبّه الدماء العربية وقد استطابها الأعداء بالخمور المعتقة التي يلتذ بها الشارب أكثر من غيرها .

وقوله[٦٧] :

ودعْ كلامَ عاذلٍ إنّه كالذئبِ في أقوالهِ إن عذلْ

في هذا النص شبّه العاذل في تلاعبه بالكلام بالذئب في مراوغته ، وانتهازه الفرص في الوثوب بفريسته .

قوله[٦٨] :

إنما الوحدة ظبيٌ نافرٌ فاقتنصها وخذ الصيد حلالا

فقد شبّه الوحدة بظبيّ نافر يصعب اصطياده ، وكذلك الوحدة يصعب تحقيقها .

ونلحظ التشبيه في قوله في تحية الدكتور عبد الوهاب السعيد وقد شبّه أخلاقه بقطر الندى في رقته [٦٩] :

فتى كقطر الندى رقت شمائله أما سريرته روح ريحانُ

وقوله[٧٠] :

ويفوحُ عطراً كالخمائل ذكره وأريجه في الضفتين يضوعُ

وقوله[٧١] :

هذه حقائق مثل الشمس مشرقةٌ رُغم الحسودِ ورغم الحاقد التعبِ

وصور التشبيه واضحة في هذه النصوص على الرغم من أنها صور تقليدية لم يتعمّق الشاعر فيها ، إلا أنها جاءت خفيفة الظل ، جميلة الوقع .

وهكذا لو عرضنا نصوصاً أخرى ، ولكن نكتفي بما أوردناه من النماذج – وهي قلّ من كثر – لتكون مثلاً على الصور الباقية .

ثانياً – الاستعارة :

الاستعارة عنصر مهم من عناصر الخيال ، ويراد بها (تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة)[٧٢] ، ونستطيع أن نقف على صور الاستعارة في مواضع كثيرة من شعر الشاعر ، فمن ذلك قوله[٧٣] :

برمانتي نهديكِ أذهلت عسكراً لقد أذهل الأعداءَ باللهواتِ

استعار الشاعر الرمانتين للنهدين حين شبّه النهدين برمانتين من حيث تكوّرهما واستدارتهما ، فالمستعار منه (المشبّه به) هو الرمانتين ؛ وهو حسّي ، والمستعار له (المشبّه) هو النهدان ؛ وهو حسي أيضاً ، والجامع لهما البروز .

ومن جميل استعاراته وقد جاء رافلاً بشعار الاقتباس قوله[٧٤] :

تبّت يد الدهر ما أعدى عواديها فالغدر شيمتها والشرّ حاديها

أوجد الشاعر في هذا البيت علاقة تشابه بين الدهر والإنسان حين أثبت للدَّهر يداً على سبيل التخييل مبالغة في تشبيهه به من حيث القدرة في التصرُّف ، ومعلوم أنّ تصرُّف الإنسان إنّما يكون باليد ـ في أكثر الأحيان ـ فاليد كالآلة التي تكمل بها القوّة على التصرُّف ، ولمّا كان الغرض إثبات التصرُّف ، وذلك مما لا يكمل إلاّ عند ثبوت اليد للدهر تحقيقاً للغرض الذي به قوام الدلالة في الإنسان القادر على التصرُّف ؛ وهو بذلك قد أخرج الدهر عن طبيعته إلى طبيعة أخرى ، هي الإنسان، وهي هنا استعارة تخييلية ؛ لأنّه تخيّل اليد على جهة الاستعارة لا الاستعمال الحقيقي، ومراد الشاعر (سطوة الدهر) .

وقال في طبيبٍ جرّاح ماهر[٧٥] :

ماء الحياة بمديتيك عيونه يجري كنهرٍ والمُديُ جسورُ

استعار الماء للحياة ، فتكون استعارة تخييلية في قوله تابعة للمكنّى عنها بالماء نفسه ؛ لاشتماله على ما يحبُّه الإنسان للحياة ؛ لأنّ الحياة هي أصل وجود الإنسان في الدنيا ، كما أنّ الماء يبرّد غليل الأوام ، ويعيد نشاط النفس ، والشاعر هنا يريد أن يقول : إن الحياة مرهونة بمدية هذا الطبيب الجراح ، وهي تجري على يده جريان النهر ، وهو دليل على حذقه وبراعته في طب الجراحة .

وقال يصف محبوبته[٧٦] :

والعين ترمي أسهماً قتالة ليست شفيقهْ

في البيت استعارة مكنية ، فقد تخيّل الشاعر عين محبوبته بسهامٍ قتالة لحسنها وقوّة تأثيرها ، فهي لا تعرف الشفقة ، فكلّ من رآها صرعته بسهام العشق .

ونكتفي بهذا القدر الذي أوردناه النصوص التي تزخر بصور الاستعارة ؛ لأنّ فيه من الدلالات مثلاً على سائر النصوص الأخرى .

ثالثاً ــ الكناية :

ويقصدُ بالكناية (أنْ يريد المتكلّم إثبات معنًى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيءُ إلى معنًى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء إليه ، ويجعله دليلاً عليه)[٧٧] ، وأهمية الكناية في تجسيد المعاني ، وإبراز الصور لا تقلُّ عن أهمية الاستعارة(فكلٌّ منهما يصدرُ عن ذائقةٍ فنية ، وقيمة بلاغية تتعلّقُ بفن القول)[٧٨] .

وجمال الكناية في تنبيه الملكات ، واستثارة الأذواق من خلال اللمحة والتعريض والرمز والإيماء والمبالغة ، ووضع المعنويات في صور المحسوسات ، وعند تأمَّل شعر الشاعر تبدو الكناية واضحة في شعره ؛ فمن ذلك قوله[٧٩] :

فقطعتَ الطريق في وجهِ باغٍ يتراءى في بسمةٍ ثعلبيهْ

فقد عبّر بالكناية عن الخداع والمكر ، لأن من شأن الباغي والمتلون أن يكون كالثعلب الماكر الذي يستطيع بذكائه وحيلته أن يخادع أعدائه .

وقوله في الدكتور عبد الرزاق الفلوجي[٨٠] :

مهلاً نقيّ الثوب هل من آلةٍ كالسنِّ تقلعُ خائناً يتطاولُ

عبر عن نزاهته وعفّته بالكناية بتصويره الفني الدقيق ، وهي كناية عن صفة .

وقوله[٨١] :

والرافدان وإن عزّت ديارُهما لا فرق بينهما والأردنِ القاني

كناية عن دجلة والفرات .

وقوله[٨٢] :

مهلاً بني صهيون إن كيانكم ثلجٌ وفي حِممِ الدروع يموعُ

كناية عن اليهود ، لانتسابهم إلى جبل صهيون ، وتمسكهم بهذا اللقب .

وقوله في مستشفى الحميات في الناصرية[٨٣] :

هذي العناكب في جدرانه انتشرت حتى لتغدو لراءٍ كالستاراتِ

كناية عن قذارتها وإهمال المسئولين لها حتى نسجت العناكب بيوتها في زواياها .

٤- التورية :

والتورية وإن كانت من فنون علم البديع فإنها بالتعبير والمعاني قوية جداً ، وبها ألصق ، ولهذا ذكرناها هنا ، ويراد بها (أنْ يذكر المتكلّم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان ، أو حقيقة ومجازاً ؛ أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ، ويُورِّي عنه بالمعنى القريب ، فيتوهم السامع أول وهلة أنّه يريد القريب ، وليس كذلك)[٨٤] .

ومن التورية التي وردت في شعر رياض شير علي قوله في وصفي التل رئيس الوزراء الأردني السابق[٨٥] :

أتعبَ الواصفُ وصفي فهو إن عُدَّ بألفِ

وقعت التورية في لفظ (وصفي) ، والمراد وصف الشاعر ، وهو المعنى القريب المورّى به ، أو هو وصفي التل اسم الممدوح ؛ وهو المعنى البعيد المورّى عنه ، وواضح أنّه أ راد هذا المعنى الذي تتسق به فكرة النص الرئيسة ، وتتكامل معه صورته العامة .

وقوله[٨٦] :

فسلام وتحيات وأكثر من رياض الشعر يهديها وعبقرْ

فالتورية في رياض الشعر واضحة ؛ فالشاعر أما أن يكون قد أراد محاسن الشعر التي تشبه الروض ، وهو المعنى القريب المورّى به ، وربَّما قصد الشاعر اسمه وهو المعنى البعيد المورّ ى عنه ، وهو مراد الشاعر .

***

الخاتمة

بعد هذه الدراسة في شعر الشاعر رياض حمزة شير علي توصل البحث إلى :

* أن الشاعر أحد الشعراء المبدعين ، يمتلك قدرة عالية في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه عبر ما ينظمه من شعر اتسم بدفق العاطفة ، ورهافة الإحساس ، وكان مما ساعده على صقل شاعريته بيئة النجف الأدبية ، تلك البيئة التي أسهمت إلى حدٍّ كبير - في المجالات الدينية والفكرية والاجتماعية - في إعداد شخصية الشاعر وصقلها ، وتكوين عقله وثقافته .

* إن من يتأمَّل شعره يجده يستعينُ في نظمه بما لديه من ثقافةٍ ومفرداتٍ علمية ، وآياتٍ قرآنية ، كما نلمحُ فيه إشاراتٍ تاريخية ، وذكراً لأعلام الفكر والأدب ، تُعطينا فكرةً واضحة عن ثقافته التاريخية ، فضلاً عمّا تركه من مؤلفات ورسائل تُنبيء عن ثقافة واسعة ، ونبوغ كبير ، وبذا يتَّضحُ لنا رافدٌ مُهمٌ من روافد ثقافته .

* وكان فيما توصل إليه البحث أن الشاعر كان عميق النظرة والسياسة يتجلّى ذلك في أكثر من موقف ، فقد شارك الشاعر في تصوير الحياة السياسية ومآسيها التي حلّت بالبلد ، وصراع الشعب مع الطغاة ومأجوريهم ، كما إنّ شعره فيه صدًى لأحداث العراق والأمة العربية وآمالها نابعٌ عن إيمانه بالإسلام والعروبة جميعاً ، وقد وجدناه يدعو دائماً أبناء الشعب العربي إلى الوحدة العربية الكبرى .

* ومن خلال ما توصل إليه البحث في مجال الدراسة الفنية ؛ هو عناية الشاعر ببناء قصيدته عناية دلّت على براعته وقدرته على الصياغة والتعبير . كما عنى بانتقاء ألفاظه ، واختيار كلماته ، فقد جاءت ألفاظه سهلة واضحة بعيدة عن الغريب والتوعر .
* ومما أفادته الدراسة الفنية من النتائج أيضاً ، هو عناية ا لشاعر بصياغة أسلوبه ، وتأنّيه في إقامة موسيقى جمله ؛ فموسيقى الألفاظ لها القدرة على التأثير في نفس المتلقي .
* إنّ الشاعر استعان بالخيال في استمالة النفوس ، وهو في ذلك كغيره من الشعراء ؛ لأنّ للخيال القدرة على خلق الصور ، وإبراز المعاني بأساليب جديدة ، وقد ظهر ذلك من خلال ضروب الخيال التي حفل بها شعره .

الهوامش

(١) ينظر في ترجمته : معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٤٨٣ ، موسوعة أعلام العراق : ٨٧/٢ ، معجم رجال الفكر والأدب : ٧٨٦/٢ ، معجم المؤلفين والكتاب العراقيين : ١٣٦/٣ ، المفصل في تاريخ النجف الأشرف : ٢١٠/١٧.
(٢) معجم رجال الفكر والأدب : ٧٨٦/٢ .
(٣) المفصل في تاريخ النجف الأشرف : ٢١٠/١٧ ، معجم رجال الفكر والأدب : ٧٨٦/٢ .
(٤) ينظر عن مؤلفاته : معجم المؤلفين العراقيين : ١/ ٤٨٣ ،
(٥) ماضي النجف وحاضرها : ١٨٣/١ ، تاريخ النجف الأشرف :
(٦) معجم رجال الفكر والأدب : ٧٨٦/٢ ، المفصل في تاريخ النجف الأشرف : ٢١٠/١٧.
(٧) معجم رجال الفكر والأدب : ٧٨٦/٢
(٨) شعر من الفرات : ٢٤ .
(٩) شعر من العراق : ٧٣-٧٤ .
(١٠) شعر من العراق : ٢٤ .
(١١) شعر من الفرات : ٢٩ .
(١٢) شعر من العراق : ٢٥-٢٦ .
(١٣) شعر من الفرات : ٣٧ .
(١٤) شعر من العراق : ٣٧ .

(١٥) شعر من العراق : ٥١.
(١٦) شعر من العراق : ٦٢ .
(١٧) شعر من العراق : ٥٦ .
(١٨) شعر من العراق : ٥٨ .
(١٩) شعر من اسطنبول : ١٢ .
(٢٠) شعر من العراق : ٥٧ .
(٢١) شعر من العراق : ٣٢ .
(٢٢) شعر من الفرات : ٥٣ .
(٢٣) شعر من الفرات : ٤١ .
(٢٤) أبحاث في الشعر العربي : ٣٦ . يرى ابن رشيق أنّ عدد أبيات المقطوعة سبعة أبيات ، وقد تزيد على عشرة . ينظر : العمدة : ١/ ١٨٨ .
(٢٥) الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية : ٢٧ .
(٢٦) شعر من العراق : ٦٦ .
(٢٧) شعر من العراق : ٥٥ .
(٢٨) شعر من الفرات : ٤٤ .
(٢٩) شعر من العراق: ٥٩ .
(٣٠) شعر من الفرات : ٥٩ .
(٣١) شعر من الفرات : ٦٩ .
(٣٢) شعر من العراق : ٩٣ .
(٣٣) جرس الألفاظ ودلالتها : ١٧٧ .
(٣٤) النقد اللغوي عند العرب : ٢٩٣ .
(٣٥) فلسفة الجمال في الفكر المعاصر : ١٦٢ .
(٣٦) العمدة :١/ ١٥١ .
(٣٧) العمدة : ١/ ٦٩ .
(٣٨) ينظر : فن التقطيع الشعري والقافية : ٢٧٨ .
(٣٩) شعر من اسطنبول : ١٢ .
(٤٠) خزانة الأدب ، الحموي : ٢/ ٢٧٨ .
(٤١) المصدر نفسه : ٢/ ٢٧٥ .
(٤٢) شعر من العراق : ٤٠-٤١ .
(٤٣) شعر من العراق : ٦٥ .
(٤٤) المثل السائر : ٣ / ٣ .
(٤٥) جرس الألفاظ : ٢٣٩ .
(٤٦) عضوية الموسيقى في النص الشعري : ٥٩ .
(٤٧) قضايا الشعر المعاصر : ٢٨١ .
(٤٨) شعر من الفرات : ٤٤ .
(٤٩) شعر من اسطنبول : ٩ .
(٥٠) شعر من اسطنبول : ٨ .
(٥١) شعر من الفرات : ٤١ .
(٥٢) جرس الألفاظ ودلالتها : ٢٨٤ .
(٥٣) ينظر : موسيقى الشعر : ٤٥ .
(٥٤) عصر سلاطين المماليك : ٦/ 397 .
(٥٥) حسن التوسل : ١٩٨ .
(٥٦) التبيان : ٤٨٠ .
(٥٧) شعر من الفرات : ٥٩ .

(٥٨) شعر من الفرات : ٧٠ .
(٥٩) شعر من الفرات : ٢٩ .
(٦٠) شعر من الفرات : ٢٩ .
(٦١) في النقد الأدبي : ١٦٧ .
(٦٢) ينظر : نقد النثر : ٥٨ .
(٦٣) النكت في إعجاز القرآن : ٧٤ .
(٦٤) مفتاح العلوم : ١٥٧ .
(٦٥) شعر من الفرات : ٥١ .
(٦٦) شعر من العراق : ٣٢ .
(٦٧) شعر من الفرات : ٦٠ .
(٦٨) شعر من العراق : ٣٢ .
(٦٩) شعر من العراق : ٥٢ .
(٧٠) شعر من الفرات : ٣٥ .
(٧١) شعر من الفرات : ٣٣ .
(٧٢) النكت في إعجاز القرآن : ٧٩ .
(٧٣) شعر من الفرات : ٦٢ .
(٧٤) شعر من اسطنبول : ٩ .
(٧٥) شعر من الفرات : ٥٠ .
(٧٦) شعر من الفرات : ٥٨ .
(٧٧) دلائل الإعجاز : ٤٠ .
(٧٨) أصول البيان العربي : ١١٣ .
(٧٩) شعر من العراق : ١٥ .
(٨٠) شعر من العراق : ٥٦ .
(٨١) شعر من الفرات : ٢٤ .
(٨٢) شعر من الفرات : ٣٦ .
(٨٣) شعر من العراق : ٩١ .
(٨٤) خزانة الأدب ، الحموي : ٢/ ٣٩ .
(٨٥) شعر من العراق : ٤٧ .
(٨٦) شعر من العراق : ٥٠ .

المصادر والمراجع

- أبحاث في الشعر العربي : د . يونس السامرائي ، دار الكتب ن جامعة الموصل ١٩٨٩م .
- الإبداع الفني : سالم محمد عزيز ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والتوزيع ، الإسكندرية ١٩٨٥م .
- أصول البيان العربي (رؤية بلاغية معاصرة) : للدكتور محمد حسين علي الصغير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٦م .
- أصول النقد الأدبي : د . أحمد الشايب ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٤٢م
- تاريخ النجف الأشرف : لمحمد حسين بن علي بن محمد حرز الدين (ت ١٤١٨هـ) ، مطبعة نكارش ، طهران ط١ ، ١٤٢٧هـ .
- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : لشرف الد ين الحسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣هـ) ، تحقيق : د . هادي عطية مطر الهلالي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : الدكتور ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٠م .
- خزانة الأدب وغاية الأرب : لتقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) ، شرح : عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧هـ
- دلائل الإعجاز : لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ت ٤٧١هـ ، تصحيح : أحمد مصطفى المراغي ، المطبعة العربية ، ط٢ .

- الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية : د . سيد حنفي حسنين ، الهيأة المصرية العامة للطباعة ، القاهرة ١٩٧١م .
- شعر من اسطنبول : رياض حمزة شير علي ، عمّان ١٩٧٢م .
- شعر من العراق : رياض حمزة شير علي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧م .
- شعر من الفرات : رياض حمزة شير علي ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١م .
- الصورة الشعرية : س. دي . لويس ، ترجمة : د. احمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٢م .
- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : محمود رزق سليم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م .
- عضوية الموسيقى في النص الشعري- عضوية الموسيقى في النص الشعري : الدكتور عبد الفتاح صالح نافع ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م .
- فلسفة الجمال في الفكر المعاصر : د . محمد زكي عشماوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١م .
- فن التقطيع الشعري والقافية : د . صفاء خلوصي ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت ، ط٥ ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)
في النقد الأدبي : د . شوقي ضيف ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٢م .
- في النقد والأدب : إيليا حاوي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩م .
- قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨١م .
- ماضي النجف وحاضرها : الشيخ جعفر باقر آل محبوبة ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لضياء الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق : د. أحمد الحوفي ، د . بدوي طبانة ، الطبعة الأولى ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م .
- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام : د . محمد هادي الأمين ، النجف الأشرف ، ط٢ ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين (١٨٠٠- ١٩٦٩م) : كوركيس عوّاد ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٩م .
- معجم المؤلفين والكتاب العراقيين : د . صباح نوري المرزوك ، المطبعة العربية ، النجف الأشرف ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- مفتاح العلوم : لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) المطبعة الأدبية ، مصر ، ط١ .
- المفصل في تاريخ النجف الأشرف : الدكتور حسن عيسى الحكيم ، مطبعة شريعت ، إيران ، ط١ ، ١٤٣٠هـ .
- موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين : حميد المطبعي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٨م .
- موسيقى الشعر : الدكتور إبراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، الط بعة الثالثة ١٩٦٥م .
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري : د . نعمة رحيم العزّاوي ، دار الحرية ، بغداد ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- نقد النثر : لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- النقد الأدبي الحديث: للدكتور محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٣م .

- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآني) :لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٦هـ) ، تحقيق : د . محمد خلف الله ، د . محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

The Poetry of Riyadh Sheer Ali : A study of Form and Content

Assistant Professor Dr. Hussein Abdul-A'l Alluheibi

Kufa Studies Centre / University of Kufa

Holy Najaf is a an Islamic city which has a great significant in history and civilisation. It is famous of its mosques and religious schools. Since departed by ash-sheikh at-Tousi in 448 A. H., it has been the covering the world with its cultural and intellectual light and supplying it with whatsoever useful and beneficial. Najaf is the inherent of Old Kufa as the leading figure of civilisation. Hence, it becomes the sight attracting of all Muslims who visit it in delegations that rarely leave it.

Najaf is also a literary environment that has embraced poets and literary men to the extent that poetry has been a distinctive feature of Najaf. This has been a consequence of a scientific movement that expanded for centuries. Therefore, poets were many and poetry was so much that poets were strongly competing for privilege. Among those poets was Riyadh Sheer Ali, the famous writer.

He lived in this scientific and intellectual environment wherein he became well-qualified and creative poet and well-known writer. The environment refined his poetic abilities and developed his intellect and widened his mind . He left a great poetic heritage most of which was unfortunately lost and only a little was found in newspapers and some books. His poetry did not only make him pioneer among his peers but also told us so much about minute details of his life, especially his agony farer from his Home and family.

Besides, much has been found in his poetry concerning many aspects of life and behaviour, human activity, and rich scenes and images of the society he lived in. this encourages me to study this poet as I find him a scientific research of a literary study .